# الإشاعة في ضوء القرآن الكريم

**أ.د.علي حسين طوينة**
**مركزإحياء التراث العلمي العربي**
**جامعة بغداد**

**المقدمة**

شغلت الإشاعة حيزا مهما من اهتمام العلوم الاجتماعية وكانت مادة بحث في علم النفس الفردي وعلم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع والسياسة. ويأتي هذا الاهتمام الكبير والمتواصل بالإشاعة لآثارها الخطيرة على حياة الأفراد والمجتمعات في أوقات السلم والحرب.

لقد أثمرت جهود الباحثين في العلوم المذكورة فقدمت كشفا دقيقا للكثير من الجوانب التي تخص طبيعة الإشاعة وأسباب نشوءها وطرق انتشارها وسبل مكافحتها أو الحد من تأثيراتها المدمرة على اقل تقدير.

ولم يغفل الباحثون العرب عن أهمية الموضوع فأولوه الاهتمام المطلوب ولأسباب تتعلق بإدارة السياسة الداخلية والتصدي للحرب النفسية المعادية التي تكون الإشاعة واحدة من أهم أدواتها.

وفي أي تقويم للجهود العربية في هذا المجال ينبغي الإشارة إلى أمرين مهمين الأول منهما يتعلق بالجانب النظري للموضوع، فالملاحظ أن البحوث العربية لم تقدم أية إضافة في هذا المجال واقتصرت على البحوث الميدانية القائمة على الأسس النظرية التي قدمها علماء الغرب. أما الأمر الثاني فيتعلق بالتراث العربي الإسلامي وهنا لا نجد جهدا مذكورا في تقصي الإشاعة وبحثها رغم التاريخ السياسي الطويل للدولة العربية الإسلامية.

في بحثنا هذا سنعمل على إلقاء الضوء على الإشاعة بهدي من القرآن الكريم وسنعرض المواضيع التي عالجت الإشاعة وسنعرف من خلال التحليل أن القرآن الكريم قد كشف القوانين التي تحكم انتشار الإشاعة والفئات التي تعمل على ترويجها. ومن خلال الحقائق التي كشفها الله تعالى في كتابه المبين يمكن للباحثين أن يستخرجوا الفروع التي تقوم على تلك الحقائق، ونسأل الله التوفيق.

## أولا: مفهوم الإشاعة

### ١ـ الإشاعة لغة

في اللغة: شاعَ الخبر في الناس يَشيعُ شَيَعاً وشَيَعاناً ومُشاعاً وشيوعَةً فهو شائع: انتشر وافترق وذاع وظهر. وأشاعَ ذكر الشيء أطاره وأظهره. وقولهم هذا خبر شائع وقد شاع في الناس، معناه قد اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض.

والشاعة: الأخبار المنتشرة. وفي الحديث: "أيما رجل أشاع عن رجل عورة ليشينه بها..." أي أظهر ما يعيبه. وأشعت المال بين القوم والقدر في الحي إذا فرقته فيهم. ورجل مشياع أي مذياع لا يكتم سرا، وشاعت القطرة من اللبن في الماء وتشيعت أي تفرقت[١].

والى جانب الإشاعة والشاعة هنالك كلمة أخرى ترد في النص القرآني تحمل معنى مماثلا أو قريبا في دلالته من الإشاعة ونعني بذلك كلمة "الإذاعة" والذَيع معناه أن يشيع الأمر. يقال: أذعناه فذاع وأذعت الأمر وأذعت به وأذعت السر إذاعة إذا أفشيته أو أظهرته. وذاع الشيء والخبر يذيع ذيعا وذيعانا وذيوعا وذيعوعة: فشا وانتشر، وأذاعه وأذاع به: أفشاه. وفي التنزيل: "وإذا جاءَهُمْ أمْرٌ مِنَ الأمْنِ أوِ الخَوْفِ أذاعوا بِهِ". قال أبو اسحق: "يعني بهذا جماعة من المنافقين وطائفة من المسلمين. قال: ومعنى أذاعوا به أي أظهروه ونادوا به في الناس. ورجل مذياع: لا يستطيع كتم خبر[٢].

ومن المفردات التي تمت بصلة تكوينية بالمفردات التي تقدم ذكرها مفردة "الخرص" وتأتي من خَرُصَ يَخْرُصُ بالضم، خرص وتخرّص أي كذب، ورجل خراص أي كذاب. وفي التنزيل: "قُتِلَ الخَرّاصونَ". قال الزجّاج: الكذابون. وتخرص فلان على الباطل واخترصه أي افتعله. قال: ويجوز أن يكون الخراصون الذين إنما يظنون الشيء ولا يحقونه فيعملون بما لا يعلمون. وأصل الخرص التظني فيما لا تستيقنه[٣].

كما إن "الرجف" لها صلة بهذه المفردات، فالرجفان يعني الاضطراب الشديد ورجف الشيء يرجف رجفا ورجوفا ورجفانا ورجيفا، وأرجف: خنق واضطرب اضطرابا شديدا. وأرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن. قال الله تعالى: "وَالمُرْجِفونَ في المَدينَةِ"، وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس. قال الجوهري: والإرجاف واحد أراجيف الأخبار. وأرجفوا: خاضوا في الفتنة والأخبار السيئة[٤].

يتضح مما تقدم إن الشاعة أو كما نقول اليوم "الإشاعة" و "الإذاعة" بمعنى واحد. أما الخرص أو الرجف فمن المكونات الأساسية التي تدخل فيهما وتعدان من عناصر الإشارة إليهما. كما إن المعنى اللغوي قريب والى حد بعيد من المعنى الاصطلاحي الذي سيرد تفصيله لاحقا.

**٢- الإشاعة اصطلاحا**

في القرن الرابع عشر انتقلت كلمة (Rumor) اللاتينية من خلال اللغة الفرنسية إلى اللغة الانجليزية. ويشير قاموس أكسفورد إلى إن معناها هو "معلومة أو حكاية يتحدث بها الناس ولكنها لا تكون صحيحة وحقيقية"[٥]. وهي بهذا المعنى قريبة من كلمة الإشاعة التي نتداولها اليوم في اللغة العربية.

والمعنى اللغوي هذا قريب من المعنى الاصطلاحي. يعرّف عالما النفس جوردون أولبرت وليو بوستمان في كتابهما "سايكولوجيا الإشاعة " هذا المصطلح على النحو الآتي:
"كل (قضية) أو عبارة نوعية (أو موضعية) مقدمة للتصديق، تتناقل من شخص إلى شخص، عادة بالكلمة المنطوقة، وذلك دون أن تكون هنالك معايير أكيدة للصدق"[٦].
وهنا نشير إلى إن كلمة (موضعية) التي وردت في التعريف تعني إن الإشاعة تتعلق بموضوع معين. والمؤلفان في تفسيرهما للتعريف يشيران إلى إن الإشاعة تدور حول أحداث أو شخصيات[٧].
أما عالم الاجتماع شيبوتاني تاموتسو فيرى أن: "الإشاعة شكل متكرر من الاتصال يحاول من خلاله الناس بناء تفسير ذو معنى للوضع الغامض الذي هم فيه من خلال مواردهم العقلية الجماعية، فيمكن أن تعد الإشاعة شكل من أشكال الحل الجماعي للمشكلة"[٨].
وفي مقابل ما تقدم من تعاريف يقدم عالما النفس الاجتماعي رالف ل. روسنو وغاري ألن فاين تعريفا توضيحيا يعترفان بأنه يتضمن مجموعة أوسع من العوامل في تعريف الإشاعة، فيقولان: "إنها أولا وقبل كل شيء نشر أخبار وفي عين الوقت هي نتيجة أو نتاج لتلك العملية. ثانيا إنها عملية يمكن أن تبدأ بسهولة ونتاجها يمكن أن ينتشر بسهولة اكبر من عملية إيقافها، وثالثا إنها عملية اتصال مبنية على أخبار غير موثقة أو مصدقة. وهناك معلم مميز آخر لا يذكر عادة، إن الإشاعة دليل غير معياري، فالشخص الذي يكرر الإشاعة ينقل دليلا مشكوكا فيه"[٩].
مما ورد في أعلاه يتضح إن الإشاعة هي خبر يتناول أشخاصا أو أحداثا في الوقت الحاضر أو غير البعيد والمتصل باللحظة الراهنة وأوضاعها، وان هذا الخبر يفتقر إلى مرجعية تؤيد صحته أو تقطع بحقيقته. كما انه ينتشر عادة من خلال الأحاديث التي تجري في الشبكة الاجتماعية.

**ثانيا: قانون انتشار الإشاعة**

الإشاعة ظاهرة اجتماعية ونفسية ومن هنا حاول الباحثون دراستها وتقصي العوامل التي تحكم بظهورها وانتشارها في البيئة الاجتماعية. ولم تأت هذه المحاولة لأغراض علمية خالصة بل للخروج بنتائج ومعطيات تسهل عملية التحكم بها ومعالجة الآثار السلبية التي تتركها في مختلف مجالات الحياة فضلا عن الاستفادة منها لأغراض الدعاية والحرب والنفسية.
لذلك لا نعجب من ارتباط الاهتمام بالإشاعة في أوقات الحروب وبخاصة في زمن الحربين العالميتين الأولى والثانية كما يرتبط هذا الاهتمام بالأزمات الاقتصادية والصراعات العرقية. من هنا فلا غرابة أن نجد محاولة كشف قانون الإشاعة من ابرز ما قدمه كتاب سايكولوجية الإشاعة الذي ورد ذكره آنفا ونشر بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة وتحديدا في عام ١٩٤٨ وكان حصيلة الدراسات والتجارب

التي أجريت في أجواء تلك الحرب. وخير دليل على ذلك هو الاعتراف بأن مشكلة الإشاعة في أميركا كانت قد حظيت باهتمام قوي شديد في العامين ١٩٤٢ و ١٩٤٣ وتصريح شخصية كبيرة في "مكتب الإعلام الحربي" بأن "غياب الأخبار الكافية في الوقت المناسب هو السبب في انتشار الإشاعة"[١٠].

ولا شك أن حاجة الإنسان إلى الأخبار عن الأحداث التي تحصل في بيئته من الحاجات الحقيقية التي لا يمكن إنكارها وهو بطبيعته مولع بالأخبار والاستخبار ولا يمكن النظر إلى ذلك على انه من أبواب الفضول وحب الثرثرة فحسب بل ولأن الإنسان بحاجة إلى تكوين "خارطة معرفية" يرسم بهديها خطاه ويتخذ قراراته ويتخذ قراراته الهامة وسط عالم تتغير فيه الأحوال باستمرار. ويزداد هذا الاهتمام كلما ازدادت أهمية هذه الأحداث وشملت بآثارها حياته الشخصية. لذلك لم تغب هذه الحقيقة من دائرة عناية المفكرين والباحثين في القضايا الاجتماعية والنفسية والسياسية. فهذا ابن حزم الأندلسي يقتطع من فضاء فلسفته عن "طرد الهم" كمحرك للسلوك الإنساني موقعا للأخبار إذ يقول "... وإنما هشّ إلى سماع الأخبار ومحادثة الناس من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه هم التوحد ومغيب أحوال العالم عنه"[١١].

أما صياغة القانون الأساسي للإشاعة وكما صاغه المؤلفان المذكوران أعلاه فسيقوم على فرضية مفادها إن موضوع الإشاعة يجب أن يكون على قدر من الأهمية بالنسبة للمتحدث والمستمع. أما الشرط الثاني لقيام الإشاعة فيرتبط بغياب الحقائق المؤكدة أو المقنعة حول هذا الموضوع، أي إن الموضوع يتسم بالغموض فتكون الإشاعة بمثابة بديل عن الأخبار والمعلومات التي عجزت المؤسسات الرسمية أو القنوات الإعلامية من تقديمها أو إنها عجزت عن الفوز بثقة المستقبل عند معالجتها لهذا الموضوع. فالأهمية والغموض يرتبطان ارتباطا كميا بقدر سريان الإشاعة. وقد قدم جوردون وبوستمان معادلة خاصة بشدة الإشاعة وهي (ش دالة أ، غ). والمعادلة تعني إن قدر الإشاعة السارية يتغير تبعا لمدى أهمية الموضوع عند الأشخاص المعنيين، وتبعا لمقدار الغموض المحيط بالمسألة المعنية. والعلاقة بين الأهمية والغموض ليست علاقة "إضافية" وإنما "تضاعفية" وهذا يعني انه في حال كانت الأهمية "صفرا" أو إذا كان الغموض "صفرا" فلن تكون هنالك إشاعة[١٢]. والصياغة باللغة الانجليزية تكون على الشكل التالي: $R = i * a$

فالحرف (R) يعني الإشاعة (Rumor)، والحرف (i) يعني الأهمية (Importance) والحرف (a) يعني الغموض (Ambiguity).

لقد أكدت البحوث اثر متغير الغموض ولكنها لم تؤكد اثر متغير الأهمية إلا إننا نرى إن لهذا المتغير أثراً كبيراً في انتشار وشدة الإشاعة لأن هذا المتغير لا يشير إلى مصالح المتحدث والمستمع فقط وإنما إلى أهمية موضوع الإشاعة بشكل عام. فالشخصية العامة أو الممثل المشهور لا أهمية له ولا اثر في حياة الناس وأهميته ملتصقة به بحكم شهرته واحتلاله موضعا من نفسية المتلقي والناس كما نعلم يتابعون حياة هؤلاء ولأسباب نفسية عديدة لا مجال لعرضها هنا.

لم يقف الباحثون على أية حال عند الصياغة التي قدمها جوردون وبوستمان بل إنهم أضافوا متغيرا آخر يمكن أن يؤخذ بالحسبان مع شيء من التحفظ، فالباحث كوروس أضاف فكرة مقلوب الإدراك النقدي كمتغير فاعل إلى الصياغة التي قدمها جوردون وبوستمان، فإذا ارتفع الإدراك النقدي فانه يضعف وأخيرا يوقف عملية تداول الإشاعة في حين إن شخصا بادراك نقدي ضعيف أو منخفض يمكن أن يكون مرشحا لنشر الإشاعة لأنه يقبل كل شيء من دون تمحيص. بذلك أصبحت الصيغة الجديدة للقانون على الشكل التالي: R = i * a * ١/c

والعلاقة القائمة في هذا القانون هي علاقة تضاعفية أي كل شيء أو لا شيء. فإذا كان الموضوع غير مهم أو غير غامض أو إذا كان الإدراك النقدي عالياً جدا فان ترويج الإشاعة يكون صفرا(١٣).

هنا نجد إن افتراض دخول متغير الإدراك النقدي كعامل فاعل في انتشار الإشاعة من الأمور التي تستحق أن يقف المرء عندها. أن ملاحظة مجربات الأمور وردود أفعال الناس المترتبة عليها تؤكد ميل الأفراد ممن يمكن وصفهم بذوي الإدراك النقدي العالي إلى مسايرة الاتجاه العام لرأي عامة الجمهور خاصة في تلك الأحوال التي تكون غير مضرة بمصلحتهم الشخصية أو عندما تخدمها وتؤكد ما تحمله من أحكام مسبقة وعقائد راسخة. بل نقول إننا ومن خلال ملاحظتنا لسلوك الجماعات التي تعد من ممثلي المثقفين الذين يفترض فيهم إخضاع الأخبار للتمحيص والتدقيق يميلون وبشكل يثير الدهشة إلى تقبل ما لا يمكن للعقل السليم استساغته وقد وجدنا أن ذلك يعود إلى انسياقهم وراء أهوائهم وحاجاتهم الملحة. وفي كل الأحوال ومهما كان عدد أو نسبة هؤلاء في المجتمع وهم فئة قليلة أصلا لا يكون دورهم إلا محدودا كمرحلين أو مروجين محتملين للإشاعة وهم بالتالي لا يشكلون عاملا يؤبه له في عملية انتشار الإشاعة.

**ثالثا: قنوات نشر الإشاعة**

**١ ـ دور الأفراد**

قلنا إن الإشاعة خبر ينتقل من الفم إلى الأذن، وهذا يعني إن جمهور الإشاعة هم الناس أو هم الغالبية العظمى منهم وعلى هذا قلما نجد شخصا لم يرو أو يسمع إشاعة. والإشاعة كفعل اتصالي تخضع إلى بعض القوانين التي تحكم الحياة الاجتماعية فهي تصاغ أولا أو تستقبل ثم تتسرب بواسطة عدد محدود من الأشخاص من ذوي النفوذ الخاص وهؤلاء بدورهم يأخذونها ويبلغونها إلى أشخاص آخرين وهكذا. فسلسلة الانتقال ليست خطية وإنما هي على طبقات من عدة مستويات. فالشخص الذي يتمتع بمكانة ما وسط جمهور معين يكون مصدرا نشطا في نشر الإشاعة إذ إن من يأخذ الإشاعة منه يعتمد في ترويجها على مكانة هذا المصدر بل يمكن القول إن مكانة الإشاعة من مكانة الأشخاص التي تؤخذ منهم. ومن هنا تتبين منزلة التأثير الذي

يحدثه قادة الرأي في انتشار الإشاعة[١٤] وربما في كبح اندفاعها في الانتشار أنهم وقفوا منها موقفا نقديا رافضا أو شاجبا.
والإشاعة لا ترد إلى ما يحدث لشخص أو إلى ما يقوم به وإنما هي نمط من أنماط السير الوظائفي الاجتماعي. وهناك جملة عوامل مهمة تؤخذ بالاعتبار في هذا المجال[١٥]:

أ- طبيعة العلاقات القائمة بين المكونات الاجتماعية في وقت انتشار أو بث الإشاعة وزرعها فهل هي علاقات تعاون وتآزر أم إنها علاقات منافسة وعداء وأحقاد ... الخ.

ب- طبيعة البنية الداخلية للجماعة، حيث يجري التمييز بين البنية النظامية (تراتبية المكانة، السلطة، الملكية والمال) والبنية غير النظامية (الألفة والتباعد، الاختبارات، مناطق النفوذ، الائتلافات).

جـ- المواقف المسبقة أو السابقة من موضوع الإشاعة قبل تسربها، والحق إن مثل هذه المواقف لا تؤثر على استقبال الإشاعة وترحيلها بل إنها تؤثر على الإدراك نفسه فالحب والكره وغيرها من المشاعر تؤثر والى حد بعيد على رؤيتنا للواقع وللفاعلين فيه.

إن جمهور الإشاعة سواء كان من المستقبلين أو المرحلين هم كما رأينا من الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع وهؤلاء كبشر لا يتحركون ولا يتكلمون إلا تلبية لحاجات أو انصياعا لعوامل نفسية قد لا يشعرون بها ولا يدركون تأثيرها عليهم.
ومن خلال الدراسات التي أجريت اتضح إن هنالك مجموعة من العوامل التي تحرك عملية انتشار الإشاعة منها[١٦]:

أ- جذب الانتباه وحب الظهور: فكثير من الأفراد يريد أن يظهر بمظهر المطلع على خفايا الأمور أو إن له صلات وعلاقات تتيح له فرص الاطلاع على ما حجب عن عامة الناس. ولعل هذا الأمر أكثر شيوعا في دول الشرق من دول الغرب. ويعود ذلك إلى سعي الرجل الشرقي إلى تأكيد علاقته أو قرابته أو صداقته بذوي السلطان والنفوذ الذين يتحكمون بمصائر الناس وحياتهم وهو بذلك يضفي شيئا من بريق سلطانهم على حياته القاتمة وخمول ذكره وقلة شأنه.

ب- الإسقاط: وهذه آلية نفسية دفاعية يعبر من خلالها عن مخاوفه أو رغباته الشخصية التي لا يستطيع الإفصاح عنها كما يعمل هذا الإسقاط عمل المخرج والتبرير لما يفعله المرء ولا يرتضيه العرف السائد أو لا ينسجم مع توقعات المجتمع منه.

جـ- العدوان: إن الإحباط والمواقف المسبقة والأحقاد والضغائن تخلق العدوان في شخصية الإنسان ويتوسل المرء بأية وسيلة وينتهز الفرصة لإيقاع فعل العدوان على أعدائه سواء بالأفعال أو الأقوال وقد تأتي الإشاعة منسجمة بمضمونها مع ما يضمره في نفسه فيعمل على نشرها وربما خلقها أن أتاه الخيال وامتلك القدرة على نسج الحكايات المعادية عن الآخرين.

د- البحث عن الطمأنينة: الكثير من الأفراد ينشر الإشاعة لكي يخفف من وطأة الواقع على نفسه ويخفف من المخاوف التي تحيط به وذلك من خلال إشراك الآخرين بالإشاعة التي سمعها فيشعر انه ليس الوحيد المهدد بالبلاء التي تحمله، ولقد لاحظنا إن الناس يميلون إلى التجمع والدردشة وتبادل الأخبار ومنها طبعا الإشاعات أيام الحروب التي شهدها العراق عام ١٩٩١ و ٢٠٠٣ ويبدو إن التوق إلى الاتصال بالآخرين إثناء الأزمات والأحداث الخطيرة من مظاهر الحياة الاجتماعية والظواهر التي تحتاج إلى دراسة من جانب القائمين على إدارة الأزمات.

**٢- دور وسائل الإعلام**

اهتمت الأنظمة السياسية منذ أقدم الأزمان بالدعاية وبالإشاعة كأداة من أدواتها بهدف السيطرة على الرأي العام وتوجيهه بما يخدم غايات النظام وأدائه لوظائفه من دون عقبات قد يفتعلها أعداؤه. لقد أكدت دراسة الحضارات التي قامت في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين واليونان على استخدام الحكام للدعاية بشكل يتماشى وحاجات وأدوات العمل الدعائي المتوفرة حينذاك[١٧].

ومع اختراع الطباعة المتحركة في القرن الخامس عشر والتطورات اللاحقة في مجال النشر والبث الإذاعي والتلفزيوني أصبحت الدعاية والحرب النفسية جزءا من الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام[١٨]. ولقد فرزت الدراسات التي أجريت حول تأثير وسائل الإعلام والتطبيقات العملية لأساليب الدعاية والحرب النفسية التي شهدتها الإنسانية أهمية وخطورة استخدام هذه الوسائل. ولعل أهم القضايا التي تهمنا هنا هي قضية تأثير هذه الوسائل في وضع جدول الأعمال أو سلم الأولويات بالنسبة للمواطن أو ما يسمى ( Agenda-Setting Function).

لقد وجد الباحثان ماكسويل ي. ماكمب ودونالد ل. شو إن هناك علاقة بين سلم أولويات وسائل الإعلام الخبرية وسلم أولويات الجمهور، فما تعده وسائل الإعلام مهما يصبح مهما أيضا بالنسبة للجمهور أي إنها تقرر حول ماذا يفكر الجمهور[١٩].

وترتبط هذه الوظيفة بالأخبار أو المعلومات التي ترتكز عليها المادة الاتصالية التي تقدمها وسائل الإعلام، ولهذه القضية أكثر من جانب، فمن جهة قد يسيء المستقبل إدراك الأخبار أو يؤولها إلى ما يتوافق مع اتجاهاته ويروجها بالصيغة التي تناسبه فتتحول إلى إشاعة، إن اتجهت إلى حاجات الناس الذين يلتقيهم وتناغمت مع الجو العام السائد في البيئة النفسية القائمة. أما الجانب الآخر فيتعلق بوسائل الإعلام نفسها التي تقصد من بثها أو نقلها لبعض الأخبار المفبركة أو المحرفة إنبات أو نشر إشاعة في وسط الجمهور. إن أي متابع لأحاديث الناس أو للأخبار التي تبثها وسائط الإعلام يجد نفسه في عالم من الإشاعات وقد يفقد في كثير من الأحيان ثقته بمصداقية هذه الوسائل وهذا ما يدفع المشككين إلى البحث عن الصياغات المختلفة للخبر الواحد من

عدة قنوات مختلفة في سياساتها وأهدافها على أمل تكوين صورة صادقة عن العالم الذي يحيط به.

**رابعا: تصنيف الإشاعات**

تصنف الشائعات على أساس الزمن أو على أساس المضمون أو الموضوع الذي تدور حوله. فعلى أساس الزمن تقسم الشائعات إلى[٢٠]:

١- الإشاعة الحابية: ومثل هذه الإشاعة تنمو وتنتشر بصورة بطيئة وسرية فيعرفها ويسمع بها كل فرد.

٢- الإشاعة الاندفاعية: وتنتشر هذه الشائعة انتشار اللهب في الهشيم وهذه الإشاعة تستجيب لظروف الأزمات الشديدة والكوارث المريعة والتهديدات الخطيرة التي تداهم المجتمع وتتضمن عادة مشاعر الفزع والخوف والغضب..الخ.

٣- الإشاعة الغاطسة: هناك من الإشاعات ما يظهر في وقت معين ثم يختفي فتنتشر في وقت آخر مشابه في ملامحه لملامح الزمن الذي انتشرت فيه أول مرة وعلى وجه الخصوص في أوقات الحروب. إن الأقاصيص التي انتشرت بين ١٩١٤ و ١٩١٨ عادت للظهور بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥.

أما على أساس المضمون فيمكن تصنيف الإشاعات إلى[٢١]:

١- إشاعة الكراهية: وهي الإشاعة التي تحمل مضمونا يدعو إلى كراهية شخص أو جماعة أو مؤسسة وهي عدائية بطبيعتها.

٢- إشاعة الرعب: وهذه الإشاعة تصور البلاء الذي سيصيب أو الذي أصاب الناس وتحمل في طياتها مشاعر الخوف التي يحملها الأفراد أو الجماعات في أوقات الأزمات والحروب.

٣- إشاعة الرغبة والأمل: وتعبر هذه الإشاعة عن أماني الناس ورغباتهم وتتعلق مضمونها عادة في الإعلان عن حوادث سارة ينتظر جمهور الإشاعة حصولها.

لقد دل التحليل الذي اجري على ألف إشاعة من إشاعات عام ١٩٤٢ على معظم مضامينها كانت تعبر عن الخوف والعداء والرغبة[٢٢] ويلاحظ على هذه الإشاعات إنها تعبر عن المحركات الرئيسية للسلوك الإنساني وربما حملت الإشاعة الواحدة أكثر من معنى ومغزى ولذلك فالتصنيف لا يعني الاقتصار على الكراهية أو الخوف أو الأمل مثلا ولكن بروز الكراهية في إشاعة وتصنيفها على أساس ذلك لا يعني إن هذه الإشاعة لا تحمل معاني التمجيد أو التشريف لجماعة أخرى يرد ذكرها في ثنايا الإشاعة.

**خامسا: الإشاعة في القرآن الكريم**

**١- البيئة الاجتماعية والسياسية المعادية في مكة**

يواجه المصلحون والحركات الإصلاحية مقاومة تتناسب شدتها وعمق وجذرية التغيير الذي يرام أحداثه في البيئة التي يريد المصلحون وحركاتهم الانتقال بها من

حال إلى آخر. ولعل الأديان وما تحمله من دعوة إلى هدم المنظومة القيمية والاجتماعية الفاسدة من أكثر حركات الإصلاح تعرضا للمقاومة ويتحمل دعاتها والمستجيبون لها اشد أنواع المطاردة والعذاب فضلا عن التكذيب والتسفيه والافتراء. والإسلام شأنه شأن الأديان التي سبقته كان داعيا إلى الحق ونبذ الباطل وإقامة حكم الله في الأرض ولهذا واجه ما واجهت الأديان التي سبقته مع بعض الخصوصية التي أخذت ملامحها من بيئة مكة ومن بعدها يثرب التي هاجر إليها رسول الله (ص) وأصحابه. وهنا نورد بعض عوامل وأسباب العداء التي واجهت الدعوة الإسلامية[٢٣]:

**أ- العامل الديني**

كانت غالبية العرب في شبه الجزيرة العربية تدين بالشرك وترى أن الأصنام تقربهم زلفى من الله وكان الإسلام يدعو إلى التوحيد ونبذ الأصنام وهذا ما يتنافى مع ما اعتادته هذه الأغلبية فوقفت من الإسلام موقفا عدائيا تجلى في تعذيب المسلمين ومقاطعتهم والسخرية من المؤمنين واتهام الرسول (ص) بالكذب والافتراء... الخ.

**ب- العامل الاقتصادي**

كانت مكة التي بدأت فيها الدعوة الإسلامية مركزا تجاريا يتحكم بخطوط التجارة بين فارس وبيزنطة واليمن والحبشة وكانت قريش هي التي تشرف على هذه التجارة وتمارسها. وكان الحج إلى مكة يدر الأموال على قريش من وجوه عديدة لا مجال لتفصيلها في هذا الموضع. فالوضع الاقتصادي الممتاز الذي كان سادة قريش يعيشونه واعتقادهم بأنهم سادة الناس وأفضل الناس صدهم عن هذه الدعوة التي تقول إن خير الناس هم أنقى الناس وان بعض وجوه النشاط الاقتصادي غير مباحة وان قيمة الناس في عملهم الصالح وليس في مالهم ونسبهم. فلا غرابة أن يعلن سادات قريش على الإسلام وبتدرج وأساليب متنوعة[٢٤].

**ج- العامل السياسي**

من طبيعة النفوذ الديني والاقتصادي انه يمهد الطريق للنفوذ السياسي المباشر أو غير المباشر. وقريش كانت قد أسست سيطرتها وتمتعت بمكانتها بين العرب بما تملكه من مفاتيح الكعبة ودار الندوة وغير ذلك من مقومات ورموز السيادة كاللواء وهو العلم الذي يحمل في المعارك وكان يسند إلى بني عبد الدار، وأما القيادة فكانت بيد بني أمية. وعندما جاء الإسلام أحست قريش إنها ستفقد هذه السلطة السياسية فالطاعة لله ولرسوله وذلك يعني خضوع قريش لقانون غير قانونها ولسلطة غير سلطتها وهذا لوحده من أقوى المبررات التي تدعوها إلى محاربة هذا الدين والتنكيل بأتباعه.

**٢- المنافقون في المدينة**

بعد أن مكث الرسول (ص) ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو فيها الناس إلى الإسلام وصبر من هو ومن معه من المسلمين على الأذى والتعذيب والسخرية والمقاطعة قرر الهجرة إلى يثرب. وهنا وجد عدوا داخليا يختلف في أساليبه عن أساليب كفار

مكة. في مقامه الجديد واجه الرسول (ص) اليهود الذين رأوا في الدين الجديد تهديدا لنفوذهم ومكانتهم. ورغم روح التسامح ومعاملتهم بالحسنى وإفساح المجال أمامهم في إقامة شعائرهم الدينية فضلا عن مساواتهم مع المسلمين في الحقوق السياسية قابل اليهود الرسول (ص) بالاستهزاء والسخرية والتآمر والخداع[٢٥]. ومن هؤلاء اليهود ومن مشركي المدينة ظهرت جماعة المنافقين التي تظهر الإيمان بالإسلام وتبطن الكفر ولا تألو جهدا في محاربة المؤمنين نفسيا بأساليب متعددة ومن تلك الأساليب كانت الإشاعة التي ترمي إلى النيل من مكانة الرسول (ص) وتثبيط همم المؤمنين وتحطيم إرادتهم في مواجهة العدو الخارجي المتمثل بكفار قريش.

لقد صور القرآن الكريم حال هؤلاء المنافقين في العديد من الآيات وحذر المؤمنين من خطرهم وقدم وصفا دقيقا لسماتهم النفسية والأخلاقية. ففي سورة البقرة الآية (٨-١٠) قال تعالى: "وَمِنَ النّاسِ مَن يَّقولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِاليَومِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤمِنينَ(٨) يُخادِعونَ اللهَ وَالَّذينَ آمَنوا وَما يَخْدَعونَ إلاّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرونَ(٩) في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ بِما كانوا يَكْذِبونَ(١٠)". وفي سورة التوبة (الآية ٧٣) أمر الله تعالى النبي (ص) بمجاهدة الكفار والمنافقين فقال عز وجل:" يا أَيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنافِقينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ وَمأواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصيرُ(٧٣)". وفي سورة النساء (الآية ١٤٠) قال تعالى: "إِنَّ اللهَ جامِعُ المُنافِقينَ وَالكافِرينَ في جَهَنَّمَ جَميعاً(١٤٠)". وفي سورة البقرة (الآية ١٠٨) كشف الله سبحانه وتعالى الأسباب التي دعت الكثير من أهل الكتاب إلى الوقوف موقف العداء من المؤمنين والذي تجسد بعضه في الاستهزاء والسخرية وترويج الإشاعات حيث قال سبحانه: " وَدَّ كَثيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَو يَرُدّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِن بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فاعْفوا واصْفَحوا حَتّى يَأتيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ(١٠٨)".

**٣ـ مضامين الإشاعات**

عندما تحدثنا عن الإشاعة كخبر قلنا إن لها مضمونا معينا وهذا الموضوع يتمحور عادة حول موضوع رئيس وقد يشتمل هذا المضمون على موضوعات أخرى تكون ساندة أو معززة للموضوع الرئيس أو يمكن أن تكون أهدافا ثانوية يخدم وجودها في الإشاعة الأغراض والغايات التي يروم الوصول إليها صانع الإشاعة أو مروجها.

ولو أننا تأملنا في الإشاعات التي ذكرها القرآن الكريم لوجدنا إن موضوعاتها الرئيسة تتمحور حول قضايا جوهرية قلما يخلو منها زمن وهي من صلب اهتمامات الإنسان في كل زمان ومكان. وبذلك يمكننا القول إن النماذج التي قدمها القرآن الكريم تتسم بالشمولية وتكشف عن القانون الذي يحكم ظهور الإشاعة فضلا عن سبل معالجتها. وعلى قدر اجتهادنا يمكن القول إن المضامين الرئيسة للإشاعات التي قدمها القرآن الكريم هي:

**أ- المضمون الجنسي**

قصة الإنسانية هي قصة الرجل والمرأة فلا غرابة والحال هذه أن تتمركز كثير من القيم الأخلاقية حول العلاقة بينهما سواء أكان ذلك في ثنائية الصحيح المقبول والخطأ المرفوض أو في تقويم الشخصية وتقدير موقعها في سلم المكانة الاجتماعية. ولذا كان من أساليب اغتيال الشخصية أو الحط من مكانتها وتأثيرها هو اتهامها أو اتهام الشريك بالخيانة الزوجية أو الرمي بالزنا أو التشكيك بالعفة. في سورة يوسف نجد أنموذجا للإشاعة القائمة على واقعة محددة. قال تعالى في الآية ٣٠ - ٣٢:" وَقالَ نِسْوَةٌ في المَدينَةِ امْرَأَتُ العَزيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُباً إِنّا لَنَراها في ضَلالٍ مُبينٍ(٣٠) فَلَمّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكّيناً وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْديَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ للهِ ما هَذا بَشَراً إِنْ هَذا إِلاّ مَلَكٌ كَريمٌ(٣١) قالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذي لُمْتُنَّني فيهِ وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكوناً مِنَ الصّاغِرينَ(٣٢)".

في النص الكريم أعلاه نجد أن الواقعة قد وصلت إلى المدينة من داخل قصر امرأة العزيز وهذا ما يحصل في تكون كثير من الإشاعات عندما يقوم أحد من المطلعين على الأحداث أو الوقائع ذات الطابع السري أو التي ينبغي كتمانها بإذاعتها في وسط آخر. ونظرا لأهمية الواقعة، ونحن هنا إزاء فضيحة، ولشدة غموض تفاصيل الحدث حصلت لدينا إشاعة أو خبر فيه قدر كبير من الصحة. الجانب الآخر الذي ينبغي الالتفات إليه هو إن جمهور الإشاعة من النسوة ويعود ذلك لأمرين، الأول منهما يتعلق بالدور الرئيس الذي تلعبه امرأة العزيز في هذه الإشاعة والثاني لوجود قضية يمكن أن توضع في ميزان المقارنة والتفضل وهي واقعة مراودة زوجة العزيز لفتاها. فالنسوة يقدمن أنفسهن على إنهن أكثر حكمة واشد التزاما وأكثر سيطرة على رغباتهن مقارنة بزوجة العزيز التي أحبت فتاها حبا دخل شغاف قلبها. وهناك أمر آخر يسترعي الانتباه وهو الإشارة إلى إن وسط الإشاعة غير محدد (وَقالَ نِسْوَةٌ) وهو الأمر المعتاد سماعه عند إشاعة أو إذاعة أمر ما مهم. ويرى بعض المفسرين إن عدد النسوة هو أربع أو خمس نساء وهن قريبات من مركز الحدث لأن فيهن امرأة ساقي الملك، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب. أما القضية الأخيرة التي نشير إليها هنا هو قرار زوجة العزيز الرد على الإشاعة ومروجاتها من النسوة بالفعل وليس بالقول كما هو بين من النص. وفي العادة عند مكافحة الإشاعة تفضل الأفعال على الأقوال لأن بالأفعال الصوت الأعلى وقوة الإقناع الأشد.

في سورة النور الآية ١١ – ١٥، يقدم لنا القرآن الكريم أنموذجا للإشاعة العدوانية التي ترمي الإساءة إلى شخصية الرسول (ص) وتدمير مكانته وذلك باتهام زوجته عائشة بالخيانة. وإذا كانت عناصر الأهمية المتمثلة بزوجة الرسول (ص) والغموض الذي حصل بسبب تأخرها عن اللحاق بالقافلة ثم قدومها إلى المدينة مع صفوان بن المعطل السلمي وهو يقود راحلتها، من المبررات التي تسوغ لمن في نفسه مرض أن يختلق حكاية حول الحدث فما بالك بالمنافقين وأعداء الرسول (ص) الذين يتحينون

الفرص لتدمير الإسلام وتشويه سمعة القائد الذي أسس لدولته في المدينة. قال تعالى:"إِنَّ الذينَ جاءوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالذي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظيمٌ(١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُموهُ ظَنَّ المُؤْمِنونَ وَالمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقالوا هَذا إِفْكٌ مُبينٌ(١٢) لَوْلا جاءوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأتوا بِالشُهَداءِ فَأولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكاذِبونَ(١٣) وَلَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ في الدُنْيا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فيما أَفَضْتُمْ فيهِ عَذابٌ عَظيمٌ(١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقولونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبونَهُ هَيِّناً وَهوَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ(١٥)".

المعنى العام لهذه الآيات ينبه إلى إن هذا الكذب العظيم الذي قلب فيه الأمر عن وجهه هو خير للمؤمنين لأنه يبرئ زوجة الرسول (ص) ويلزم أصحاب الأفك ما استحقوه من الإثم ثم انه درس للمؤمنين موعظة ودعوة إلى حسن الظن بالأخ والأخت المسلمة والابتعاد عن الخوض في سيرة الغير واغتيابه أو نشر الأخبار التي تسيء إليه أو نقلها أو ترويجها عن الفاسقين من دون التحقق والتأكد من صحتها. هذا إذا سمح الشرع بذلك. والى جانب تنظيم عقوبة من يقذفون المحصنات الغافلات المؤمنات وتحديد شروط الشهادة هدّد الله تعالى في الآية ١٩ من نفس السورة مروجي هذا النوع من الإشاعات بعقاب شديد حيث قال تعالى:"إِنَّ الذينَ يُحِبّونَ أَنْ تَشيعَ الفاحِشَةُ في الذينَ آمَنوا لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(١٩)".

**ب- المضمون المالي**

شخّص القرآن الكريم حب الإنسان الجم للمال كما عده من الشهوات التي تجتمع مع شهوات أخرى فتكون دافعا للسلوك الإنساني سواء أكان هذا السلوك يدخل في باب الإسراف أو الاعتدال وقد جاء قوله تعالى في سورة آل عمران الآية ١٤ ليبين خطورة تأثير المال على الإنسان وسلوكه حيث قال:" زُيِّنَ لِلْناسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَالبَنينَ وَالقَناطيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ(١٤)".

وإذا كان الزهد وروح القناعة من الصفات الكريمة فان المبالغة في حب المال والتملك لا يؤشر صفة أخلاقية ذميمة فحسب بل ويعده بعض علماء النفس من علامات المرض النفسي[٢٧]. وللمال العديد من المعاني والرموز النفسية ويرى علماء النفس إن أهمها[٢٨]:

١- الإحساس بالأمن
٢- الشعور بالقوة
٣- الحب
٤- الإحساس بالحرية

إن هذا الإشباع المتعدد الوجوه الذي يوفره المال هو الذي يجعل المال مطمحا للأغلبية الساحقة من البشر، إنهم يتقاتلون ويتصارعون ويتحاسدون من اجله. لذلك نجد الإشاعات التي تدور حول فساد الذمم والرشوة والإفساد والإسراف متداولة في

كل عصر وزمان. بعض هذه الإشاعات فيها شيء من الصحة وبعضها عبث وثرثرة وبعضها مختلق يقصد بها العدوان والأذى وتخريب المصداقية والطعن في النزاهة والعفة.

ونجد في القرآن الكريم ردا جليا على المنافقين الذين اتهموا رسول الله بالخيانة في الغنائم وكما في سورة آل عمران الآية ١٦١:"وَما كانَ لِنَبيٍ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأتِ بِما غَلَّ يَوْمَ القيامَةِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمونَ(١٦١)".وقد روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير إنها نزلت في قطيفة حمراء يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم لعل النبي أخذها. وقد خصّ النبي (ص) بالذكر لأنه القائم بأمر الغنائم فاتسع الرد ليؤكد نزاهته وعفته وحرمة الغلول عليه وعلى غيره من الأنبياء.

وفي هذه الإشاعة نجد إن العناصر المكونة للانتشار قائمة، فالغموض الذي يحيط بموضوع الإشاعة متوفر كما إن الأهمية متوفرة وقائمة في عين موضوع الإشاعة وهو المال وفي شخص الرسول (ص) الذي يتمتع بمكانة دينية وزعامة سياسية في زمان ومكان انتشار الإشاعة.

ولم تكن هذه القضية هي القصة الوحيدة التي اتخذ فيها المنافقون المال موضوعا للطعن والتشهير والسخرية. وقد نبّه الله تعالى إلى سوء المنافقين ونفوسهم المريضة في سورة التوبة الآية ٧٩ حيث قال سبحانه:"الذينَ يَلْمِزونَ المُطَّوّعينَ مِنَ المؤمِنينَ في الصَّدَقاتِ والذينَ لا يَجِدونَ إلاّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أليمٌ(٧٩)". فالله تعالى يخبر عن حال المنافقين الذين يعيبون المتطوعين بالصدقة ويطعنون عليهم في الصدقات. فإذا تصدق المؤمن بالكثير قال المنافقون انه يحب الرياء ويبتغي الذكر وإذا تصدق بالقليل قالوا إن غنى من هذا القليل، فهم يعيبون المكثر بالرياء والمقل بالإقلال. وهكذا لا يمكن للمؤمنين أن يأمنوا طعن المنافقين في كل حال[٣٠].

**ج- المضمون الحربي**

علمنا مما تقدم إن الرسول (ص) وأصحابه كانوا في صراع متعدد الأشكال مع المشركين والمنافقين وكان هذا الصراع قد انتقل من مرحلة الصراع النفسي إلى الصراع الجسدي بمعنى إن هجوم الأعداء قد انتقل إلى التهديد المباشر بالقتل. ومن الطبيعي أن تكثر وتتنوع التوقعات حول أمور الحرب والسلام. ويلاحظ إن ظاهرة انتشار الإشاعات التي تتعلق بهذا الموضوع من الأمور الطبيعية بل إن هذه الإشاعات لا تنتهي بانتهاء الصراع المسلح وإنما تستمر لتتناول آثار الحرب ومخلفاتها وكما شهدت عليه الإشاعات التي رافقت الحربين العالميتين الأولى والثانية وتلك التي تناولت السلام الوشيك أو تلك التي قدمت الحكايات البشعة والمثيرة من نتائج تلك الحروب.

وقبل عرض العلاقة بين الحرب والسلام والإشاعة نشير إلى إن الله تعالى قد خاطب الناس حول القتال وشروطه وتنظيمه في آيات عديدة. وهنا نذكر بقوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢١٦:" كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِتالُ وَهوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهوا شَيْئاً

وَهوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبّوا شَيْئاً وَهوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمونَ(٢١٦)". وفي سورة الأنفال الآية ١٥:"يا أَيُّها الذينَ آمَنوا إِذا لَقيتُمْ الذينَ كَفَروا زَحْفاً فَلا تُوَلّوهُمْ الأَدْبارَ(١٥)". وفي سورة آل عمران الآية ١٥٦: "يا أَيُّها الذينَ آمَنوا لا تَكونوا كالذينَ كَفَروا وَقالوا لإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبوا في الأَرْضِ أَو كانوا غُزّىً لَوْ كانوا عِنْدَنا ما ماتوا وَما قُتِلوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذلِكَ حَسْرَةً في قُلوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيي وَيُميتُ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ(١٥٦)". نستطيع أن نفهم - بعد أن استعرضنا الآيات المباركات – الأساسيات النبي تدعو إلى انتشار الإشاعات الحربية في أوقات الحروب والصراعات المسلحة أيا كان هدفها.

إن أنموذج الإشاعة الحربية الذي يصدق للتعميم في كل زمان ومكان هو ما جاء في سورة النساء الآية ٨٣ حيث قال تعالى: "وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذاعوا بِهِ وَلَوْ رَدّوهُ إِلى الرَّسولِ وَإِلى أولي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذينَ يَسْتَنْبِطونَهُ مِنْهُمْ وَلَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطانَ إِلاّ قَليلاً(١٨٣)".

في لغة ومعنى هذه الآية يقول الطبرسي إن الإذاعة والإشاعة والإفشاء والإعلان والإظهار نظائر، وضده الكتمان والإسرار والإخفاء. أما أصل الاستنباط فيعني الاستخراج، فيقال لكل ما يستخرج حتى يعق عليه رؤية العين أو معرفة القلب فقد استنبط. ومعنى الآية إن المنافقين أو ضعاف المسلمين يتحدثون وينشرون الأخبار من دون أن يعلموا صحتها وان هذه الأخبار تتحدث أما عن توقع مجيء العدو وهذا هو الخوف أو عن ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الأمن وقد كرّه الله ذلك لأن من أذاع هكذا أخبار فلا يخلو كلامه من كذب ولما يؤدي ذلك من إدخال الخوف في نفوس المؤمنين. ثم تحدثت الآية عن لزوم الرجوع في أمر هكذا أخبار إلى الرسول (ص) والى أولي الأمر سواء أكانوا من الأئمة المعصومين عليهم السلام أو أمراء السرايا والولاة أو من يختص في هذا الشأن فيعطون الإجابة عن هذا الأمر. ثم يبين الله سبحانه انه لولا فضله ورحمته بالنصرة مرة بعد أخرى لاتبع الضعفاء في إيمانهم وساوس الشيطان المؤدية إلى الجبن والفشل[٣١].

**سادسا: مكافحة الإشاعة**

علمنا مما تقدم إن الإشاعة مصدر من مصادر التشويش والإرباك للمجتمع ولذلك تناولت العديد من آيات القرآن الكريم سبل مكافحة الإشاعة والحد من ضررها على المجتمع الإسلامي. وقد أخذ العلاج ثلاثة مسارات، أول هذه المسارات أكد على ضرورة أن يتبين الناس حال مروج الإشاعة والتأكد من صدقية حاملي الأخبار. قال تعالى في سورة الحجرات الآية ٦: "يا أَيُّها الذينَ آمَنوا إِذا جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنوا أَنْ تُصيبوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ(٦)". وخلاصة معنى هذه الآية هو في تأكيدها على تبين صدق الخبر من كذبه إذا جاء بخبر عظيم الشأن وعدم المبادرة إلى العمل بخبره قبل ذلك، بل الواجب التوقف والتأني والتثبت من حقيقة الخبر حذرا من إصابة قوم في أنفسهم وأموالهم بغير علم بحالهم. وعلى هذا فان من

لا يؤمن صدقه لأي سبب كان واجب الحذر من الأخذ به والتحري عن حقيقة ما قال[٣٢].

أما ثاني هذه المسارات فيتعلق بحث المسلمين على حسن الظن وتحري الصدق في القول والابتعاد عن الغيبة. وهذه العناصر جميعا من الكوابح الأخلاقية المهمة التي تدعوا إلى الاحتراس من الأقاويل السيئة عن الآخرين ومراقبة النفس واللسان وعدم تناول سيرة الناس بما يكرهون في غيابهم.

المسار الثالث قد ركز على مختلقي الأكاذيب ومروجي الإشاعات الذين أرادوا الشر بالإسلام. وهنا نرى إن القرآن الكريم قد كشف عن صفاتهم وملامحهم النفسية وحتى طريقة كلامهم ثم هددهم وتوعدهم مع تحذير المؤمنين من مخاطرهم وفسادهم. في سورة الذاريات الآية ١٠ – ١٤ قال تعالى:" قُتِلَ الخَرّاصونَ(١٠) الذينَ هُمْ في غَمْرَةٍ ساهونَ(١١) يَسْأَلونَ أَيّانَ يَوْمُ الدينِ(١٢) يَوْمَ هُمْ عَلى النّارِ يُفْتَنونَ(١٣) ذوقوا فِتْنَتَكُمْ هَذا الذي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلونَ(١٤)". والخراص تعني الكذاب والآيات رد على تشكيك المشركين الذين هم في غاية الجهل وهم إلى جانب كذبهم ينكرون ويستهزئون بوقت الجزاء وهو يوم الدين[٣٣].

وفي المدينة كانت حرب الإشاعة التي شنها المنافقون موضع تشخيص من القرآن الكريم ولخطورة هذه الحرب في كل زمان ومكان كان الرد الرادع من الله سبحانه وتعالى وكما جاء في سورة الأحزاب الآية ١٦ – ٦٢ حيث قال تعالى:" لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنافِقونَ وَالذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفونَ في المَدينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرونَكَ فيها إلاّ قَليلا(٦٠) مَلْعونينَ أَيْنَما ثُقِفوا أُخِذوا وَقُتِّلوا تَقْتيلا(٦١) سُنَّةَ اللهِ في الذينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلا(٦٢)". وفي تفسير هذا النص قال القرطبي إن المرجفين في المدينة قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوءهم من عدوهم، فيقولون عند خروج سرايا الرسول (ص) إنهم قد قتلوا أو هزموا وان العدو سيهجم على المدينة. وقيل هم قوم من المسلمين ينطقون بالأخبار الكاذبة حبا بالفتنة. وقال ابن عباس: الإرجاف التماس الفتنة، والإرجاف: إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به، وقيل تحريك: تحريك القلوب، يقال: رجفت الأرض – أي تحركت وتزلزلت – ترجف رجفا، والرجفان: الاضطراب الشديد[٣٤]. ويلاحظ مما تقدم إن أراجيف المنافقين في المدينة كانت وسيلة من وسائل الحرب النفسية التي يراد بها تدمير معنويات المسلمين وزرع اليأس في نفوسهم أو كما يقول الطبرسي: أن المنافقين كانوا يرجفون في المدينة بالأخبار الكاذبة المضعفة لقلوب المسلمين، بأن يقولوا لسرايا المسلمين إنهم قتلوا وهزموا[٣٥].

**الخاتمة**

نستطيع مما تقدم استخلاص جملة استنتاجات حول موضوع الإشاعة في القرآن الكريم ولعل من بين أهم الاستنتاجات هو وجود قانون يحكم انتشار الإشاعة. فالغموض والأهمية والإدراك النقدي متوفرة في الإشاعات التي مر ذكرها، كما إن

موضوعات الإشاعات التي ذكرها القرآن الكريم هي اشد الموضوعات شيوعا في كل زمان ومكان. وإذا كان من الممكن أن تشمل الإشاعات موضوعات أخرى، فان ذلك لا يقلل من أهمية نماذج الإشاعات التي ذكرها القرآن الكريم لان ذكر الخطير والأكثر حدوثا يدعو إلى بناء رؤية تستطيع أن تمسك بما هو اقل أهمية إذا ما أراد الإنسان أن يتفكر ويتدبر في آيات الله وفي ما يسمع ويرى في حياته الخاصة وحياة الناس من حوله.

ولأن الإشاعة ظاهرة ملازمة للمجتمع الإنساني علمنا القرآن الكريم وأرشدنا إلى سبل مواجهتها والتخلص من آثارها المدمرة. وقد كانت هذه التربية واضحة جلية في تنبيه الناس إلى التأكد من سلامة خلق ناقلي الأخبار والرجوع إلى من هم أكثر علما وخبرة لاستيضاح وفحص مصداقية ما سمعوا وحسن الظن بإخوانهم والتأني في اتخاذ القرارات التي قد تؤثر سلبا على حياتهم وحياة غيرهم.

لقد أمر الله سبحانه بني آدم إلى تجنب الغيبة والاحتراس من اللغو وباطل القول ومن كل ما شأنه إيذاء الناس وبذلك أغلق الله تعالى بابا من الأبواب التي تنفذ من خلالها الإشاعة وهذب السنة الناس وحثهم على توخي الصدق وتجنب المناجاة في ما لا خير فيه لهم ولغيرهم.

والى ما تقدم نضيف الموقف الذي اتخذه الإسلام من مروجي الإشاعات وتشديده على سوء عاقبة من ينشر الأخبار الزائفة والملفقة التي من شأنها إيذاء المجتمع أو التسبب في تشويه سمعة الآخرين أو التقليل من مكانتهم، وقد علمنا إن هذا العقاب لا يقتصر على الحياة الآخرة، بل انه يحصل في الحياة الدنيا أيضا.

من كل ما تقدم نلخص إلى القول بان القرآن الكريم قد عالج قضية الإشاعة مثلما عالج شؤون الإنسان الأخرى في مجالات الحياة كافة.

**الهوامش**

**(١)** ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب،دارصادر، بيروت، دار صادر، م٧، مادة شيع، ص٢١.

**(٢)** المصدر نفسه ، م٨، مادة ذيع، ص٩٩.

**(٣)** المصدر نفسه، م٧، مادة خرص، ص٢١.

**(٤)** المصدر نفسه، م٩، مادة رجف، ص١١٣.

**(٥)** Oxford Advanced Learner's Dictionary, 7th Edition, Oxford University Press, Item Rumor.

**(٦)** أولبرت، جوردون ليو بوستمان ، سايكولوجية الإشاعة، ترجمة صلاح مخيمر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤، ص١٥.

**(٧)** المصدر نفسه.

**(٨)** Tamotsu, Shibutani: Improvised News, A Sociological Study of Rumor, New York, The Bobbs-Merrill Comp. 1966, p.17.

**(٩)** Ralph L. Rosnow / Gray Alan Fine: Rumor and Gossip, The Social Psychology of Hearsay, New York, Elsevier, 1976, p.11.

**(١٠)**أولبرت، المصدر نفسه ، ص١٩.

**(١١)**ابن حزم ، أبو محمد علي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق، د. إحسان رشيد عباس، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ، ص ١١٧ – ١١٨.

**(١٢)**أولبرت، المصدر نفسه ، ص٥٥.

(١٣)Ralph L. Rosnow / Gray Alan Fine: Op. Cit. p.52.
(١٤)روكيت، ميشيل لويس، الشائعات، ترجمة هشام دياب ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،(١٩٨٤-دمشق)، ص٣٩.
(١٥)المصدر نفسه، ص٣٩ – ٤٠.
(١٦)المصدر نفسه، ص٥٢ – ٥٥.
(١٧)حجاب، محمد منير، الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديما وحديثا، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع،القاهرة ، ١٩٩٨، ص٢١ – ٢٢.
(١٨)بيتنز، جون ر.: الاتصال الجماهيري، ترجمة د. عمر الخطيب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ١٩٨٧، ص٢٦.
(١٩)Agee, Warren K. et al: Introduction to Mass Communication, New York, Harper and Row, 1985, pp. 34 – 35.
(٢٠)أبو النيل، محمود السيد، علم النفس والشائعات، دراسات عربية وعالمية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦، بيروت، ص١٣ – ١٩.
(٢١)روكيت، المصدر السابق، ص٧٢ – ٧٣.
(٢٢)نصر، صلاح، الحرب النفسية، معركة الكلمة والمعتقد، ج١، القاهرة، دار القاهرة للطباعة والنشر،القاهرة، ١٩٦٧،ج١، ص٣٨٠.
(٢٣)الروضان، عبد عون، موسوعة تاريخ العرب، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان،ج١، ص٤٣٩ – ٤٤٥.
(٢٤)مؤنس، حسين،تاريخ قريش، دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٢٥٥.
(٢٥)أرنولد، توماس ،الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص٤٧.
(٢٦)الطبرسي، أبو علي الفضل من الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، دار القارئ، بيروت، ٢٠٠٩، ج٥، ص٣٣٨ – ٣٣٩.
(٢٧)فروم، آريك،الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة، العدد ١٤٠)، ١٩٨٩، ص٨٧.
(٢٨)زيدان، أكرم، سايكولوجية المال، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عالم المعرفة، العدد ٣٥١، ٢٠٠٨، ص٣٧.
(٢٩)الطبرسي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٦ – ٣٨٧.
(٣٠)المصدر نفسه، ج٥، ص٨٢.
(٣١)المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٩ – ١٣٢.
(٣٢)المصدر نفسه، ج٩، ص١٨٤.
(٣٣)المصدر نفسه، ص٢١٤.
(٣٤)القرطبي، أبو عبد محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢، م٧، ص٥٣٤.
(٣٥)الطبرسي: المصدر السابق، ج٨، ص١٣٥.